

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح ستة مواضع من السيرة النبوية

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - تأمل - رحمك الله تعالى - ستة مواضع من السيرة كما ينبغي ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه ، فإن كثيراً ممن يدعي الدين ويعد من الموحدين لا يفهم هذه الستة كما ينبغي.

الموضوع الأول: { قصة نزول الوحي } على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفيها أن أول آية أرسله الله بها : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ) الى قوله : (وَكَرِّرْكَ فَاذْبُرْ) . فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان ، مثل: الزنا وغيره ، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون أشياء كثيرة من العبادات يتقربون بها إلى الله ، مثل: الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك ، وأعظمها عندهم الشرك ، فهو أعظم ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا : { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } ، ويقولون : (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقال تعالى : (فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ) .

فأول ما أمر الله بالإذاز عنه ، قبل الإذاز عن الزنا والسرقة وغير ذلك هو هذه العبادات ، وعرفت أن منهم من تعلق على الصالحين والملائكة والأولياء والأصنام ، ويقولون : ما نريد إلا شفاعتهم! ومع هذا بدأ بالإذاز عنه في أول آية أرسله الله بها . فإذا أحكمت هذه المسألة الأولى فيا بشراك . . .

خصوصاً إن عرفت أن ما في الإسلام بعدها أعظم من الصلوات الخمس ، ولم تفرض إلا ليلة المعراج - سنة عشر ، بعد حصار الشعب ، وبعد موت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين - فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة الكبيرة والعداوة البالغة . . . كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة بحول الله.

الموضع الثاني :

[أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا ذلك واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح لهم بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة] : وقالوا : سفه أحلامنا ، وأعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وكان أمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضررون ، جعلوا ذلك شتماً .

فإذا عرفت هذه المسألة ، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام - ولو وحد الله وترك الشرك - إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء ، كما قال تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ . . . الآية) .

فإذا فهمت هذه فهماً حسناً جيداً ، عرفت أن الكثير من الذين يدعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة ؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، ولم يجد لهم رخصة ، ولو وجد رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه إذا أودوا في الله إذاً ، فكيف بغير ذلك ؟!

الموضع الثالث [قصة قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم ، بحضرتهم] :

فلما بلغ : { أفرعيتم اللات والعزى } ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وقالوا كلاماً - معناه - : هذا الذي نريد ، ونحن نعرف أن الله سبحانه هو النافع الضار النافع وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده ، فلما بلغ السجدة ، سجد وسجدوا معه ، فشاع الخبر أنهم صافوه ، وسمع بذلك من في الحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عادوا إلى أشر ما كانوا عليه ، ولما قالوا له : إنك

قلت ذلك ، خاف من الله خوفاً شديداً عظيماً ، حتى أنزل الله عليه : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ) .

فمن فهم هذه القصة ، ثم شك في دين النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين . . فأبعده الله ، خصوصاً إن عرف أن قولهم : تلك الغرانيق العلى أنها الملائكة .

الموضع الرابع [قصة أبي طالب] :

فمن فهمها فهماً حسناً ، وتأمل إقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيهه عقول المشركين ومحبه لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وعشيرته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن مات ، ثم صبره على المشاق العظيمة والعداوة البالغة ، لكن لأنه لم يدخل فيه ، ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً ، مع أنه يعتذر عن ذلك أن فيه مسبة أبيه عبد المطلب وآل هاشم وغيرهما من مشايخه .

ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عليه : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى) (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) .

والذي يبين هذا: أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الإحساء بحب الدين وبحب المسلمين ، ظن أكثر الناس أنه من المسلمين ، مع أنه لم ينصر الإسلام بيده ولا ماله ، ولا له من الأعذار ما لأبي طالب ، فمن فهم قصة أبي طالب ، وفهم الواقع من أكثر من يدعي الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الإفهام ، والله المستعان .

الموضع الخامس : [قصة الهجرة] :

وفيهما من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسألة واحدة من مسائلها ، وهي: أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر - من غير شك في الدين ، ولكن محبة لأهل المال والوطن - فلما خرجوا إلى بدر ، خرجوا معهم وهم كارهون ، فقتل بعضهم بالرمي - والرامي لا يعرفهم - فلما سمع الصحابة: من القتل: قتل فلان وفلان، شق عليهم ، وقالوا : قتلنا إخواننا فأنزل الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ

كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضَعِّفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا . . . (الآيات) .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : (قتلنا إخواننا) (علم أنهم) لو بلغهم عنهم كلام في سب الدين ، أو كلام في تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا إخواننا ، فإن الله بين لهم وهم بمكة ، قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم ، فإن الملائكة تقول لهم : { فيم كنتم } ؟ ولم يقولوا : (لهم : كيف تصديقكم ، فلما قالوا : كنا مستضعفين في الأرض) لم يقولوا : (كذبت) مثلما يقول الله والملائكة والملائكة للمجاهد الذي يقول : جاهدت في سبيلك حتى قتلت فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، بل قاتلت ليقال : جريء وكذلك يقال للعالم والمتصدق : كذبت ، بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد . . . وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل أجابوهم بقولهم : (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) .

ويزيد ذلك إيضاحاً للجاهل والعارف : الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : (إِلَّا الْمُسْتَضَعِّفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) فهذا أوضح جداً لأن هؤلاء الذين خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيمن هذه صفته : (صُمُّكُمْ عَنِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) .

فمن فهم هذا الموضع والموضع الذي قبله ، فهم كلام الحسن البصري : (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال ، وذلك أن الله تعالى يقول : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) .

الموضع السادس [قصة الردة ، بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم] :

فمن سمعها لم يبق في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون " العلماء " وهي قولهم : هذا هو الشرك ، لكن يقولون : لا إله إلا الله ، ومن قالها لا يكفر بشيء ! وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة ، لكن يقولون : لا إله إلا

الله ، وهم بهذه الشهادة أهل إسلام ، حرم الإسلام مالهم ودمهم ، مع إقرارهم أنهم تركوا الإسلام كله ، ومع علمهم بإنكارهم البعث واستهزائهم بمن أقرّ به ، واستهزائهم بالشرائع وتفضيلهم دين آباءهم المخالف لدين النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة : أن البدو أهل إسلام ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، (ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها) ، وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا ، والذي يبين ذلك من قصة الردّة ، أن المرتدين اختلفوا في ردّتهم ، فمنهم من كذب النبي صلى الله عليه وسلم ورجع إلى عبادة الأوثان ، وقالوا : لو كان نبياً ما مات ! ، ومنهم من ثبت على الشهادتين ، لكن أقرّ بنبوّة مسيلمة ، ظناً أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه في النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور ، شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ، ولو جهلوا (ذلك) ومن شكّ في ردّتهم فهو كافر .

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا على أن الذين كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا إلى عبادة الأوثان وشتّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أقرّ بنبوّة مسيلمة في حال واحدة ، ولو ثبت على الإسلام كله .

ومنهم من أقرّ بالشهادتين ، وصدق طليحة بن خويلد الأسدي في دعواه النبوة ، ومنهم من صدق عبّهة بن كعب الأسود الغنسي صاحب صنعاء فكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم مرتدون . ومنهم أنواع آخر ، منهم الفجاءة السّلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين وطلب من أبي بكر أن يمدّه ، فأعطاه سلاحاً ورواحل ، فاستعرض السّلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله ، فلما أحسّ بالجيش ، قال لأميرهم : أنت أمير أبي بكر ، وأنا أميره ، ولم أكفر ، فقال : إن كنت صادقاً فألق السلاح فألقاه ، فبعث به إلى أبي بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي .

فإذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل ، مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام بكلمة واحدة ، إلا أن يقول : لا إله إلا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كتاب الله ؟! ويقولون هذا دين الحضر وديننا دين آبائنا ، ثم يفتنون هؤلاء المردة الجهال : أن هؤلاء مسلمون ! ولو صرحوا بذلك كله ، إذا قالوا : لا إله إلا الله ! سبحانك هذا بهتان عظيم .

وما أحسن ما قال رجل من أهل البوادي ، لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام ، قال : أشهد
أنا كفار- يعني هو وجميع البوادي - وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل إسلام أنه كافر ! .
تم آخره والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
الإمام محمد بن عبد الوهاب .